مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 03 (2021م) • ص ص 593 - 604
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

تواصل علماء المغرب الأقصى بالجزائر خلال العهد العثماني

Communication of Scholars of Far Maghreb with Algeria during the Ottoman era

سعيد دربال *
مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
SAID.DERBAL@UNIV-ALGER2.DZ

يامنة بجيري
مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
HISTOIREYAMNA@GMAIL.COM

تاريخ الاستلام: 2021/07/18 تاريخ القبول: 2021/09/02 تاريخ النشر: 2021/11/14

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: أجمعت معظم الكتابات التاريخية في الفترة العثمانية على ركود في الحياة الثقافية والعلمية بالجزائر لعدة أسباب أهمها الهجرة الكبيرة لعدد من العلماء الجزائريين إلى الحواضر العلمية الإسلامية وخاصة المغرب الأقصى، وفي مقدمتها مدينة فاس.

إلا أن هذه القاعدة لا يمكن أن نجزم بها إذ نجد العديد من علماء المغرب الأقصى قد وفدوا على القطر الجزائري رغم ما كانت عليه العلاقات السياسية من إضراب، فقد كانت وفادة من علماء المغرب الأقصى للجزائر مختلفة الأشكال والأسباب فمنها الوفادة لطلب العلم ونشره كابن زاكور والورززي ومنها الرحلة الحجازية كرحلة العياشي والناصري وغيرهما، وهناك السفارات كسفارة الغزال والتمقروتي والبوعناني، ومنها رحلات بسبب الظروف السياسية الأمنة كرحلة الزياني والجامعي، وهو ما حفزنا على تقصى تراجمهم وأثرهم العلمي بالجزائر من خلال كتب التراجم والمصادر التاريخية.

الكلمات المفتاحية: التواصل؛ الرحلة؛ الجزائر؛ المغرب الأقصى؛ العلماء.

Abstract: Most of the historical writings in the Ottoman period unanimously agreed on a stagnation in cultural life in Algeria for several reasons, the most important of which is the migration of a number of Algerian scholars to Islamic scientific metropolis, especially Morocco. We cannot be certain of this rule, as we find many scholars of the Far Maghreb have come to Algeria on a strike of relations. The arrival of scholars of the Far Maghreb to Algeria was for various reasons, including the arrival to seek knowledge, such as Ibn Zakour, the Hijaz trip, such as that of Al-Ayashi and others. There were embassies such as the embassy of Al-Ghazal and Al-Tamqrouti and trips due to the safe political conditions, such as the trip of Al-Zayani and Al-Jami, which motivated us to investigate their biographies and their scientific impact in Algeria through books of biographies and historical sources.
Keywords: ommunication;the journey;Algeria;Far Morocco;scholars.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

رغم الخلافات التي شابت العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد العثماني، إلا أن هذا لم يؤثر على بقية الجوانب خاصة الجانب الثقافي ولم يمنع هذا الصراع من وجود تواصل علمي بين البلدين، وقد جسد ذلك هجرة العديد من العلماء الجزائريين، خاصة من حاضرة تلمسان إلى المغرب الأقصى خلال القرن العاشر الهجري، وبالأخص إلى حاضرة فاس العلمية، متمثلة في هجرة عائلات علمية كبيرة، كعائلة المقري، وعائلة العقباني، والونشريسي وغيرهم، وقد استوفى صاحب البستان، ودوحة الناشر ذكر أسماء هذه العائلات بالتفصيل من خلال تراجم أعلامهما.

هذا ما جعل العديد من الباحثين والمؤرخين في كتاباتهم يجمعون على فتور وضعف النشاط العلمي والفكري بالجزائر خلال العهد العثماني وأرجعوا ذلك لعدة أسباب، لعل أهمها اهتمام حكام الجزائر بالجانب العسكري، والسياسي، وإهمال بقية الجوانب، ونجد أيضا عامل اختلاف اللغة التي كانت عائقا منعت من تقارب هؤلاء الحكام مع العلماء.

إلا أن الباحث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني يجد وفود العديد من العلماء إلى الجزائر خلال هذا العهد، سواء من المشرق كالأتراك، أو من تونس، وكذلك من طرابلس، إضافة إلى وفود الكثير من علماء المغرب الأقصى، ليؤكد على وجود نشاط علمي بحواضر الجزائر في هذه الفترة، ويفند تلك الكتابات التي أجمعت على ضعف الحركة العلمية والثقافية بها.

وكان لعلماء المغرب الأقصى النصيب الأوفر، والصيت الأكبر من خلال وفود العديد منهم إلى الجزائر في هذه الفترة، والتي تبرز قوة ذلك التواصل العلمي والثقافي بين البلدين من خلال نُخبه العلمية، عكس ما كانت عليه العلاقات السياسية من فتور واضطراب بينهما، وقد أضاف هؤلاء العلماء الكثير للمشهد العلمي والثقافي بالجزائر من خلال مدارستهم ومذاكرتهم مع العلماء الجزائريين، وقد نقلوا لنا في مؤلفاتهم الكثير من مظاهر الحياة في الجزائر سواء كانت ثقافية، أو اجتماعية، واقتصادية، وسياسية.

سنحاول من خلال هذا البحث التعريف بهم من خلال طرح الإشكالية التالية:

ما هي أسباب وأشكال هذه الرحلات العلمية للمغاربة إلى الجزائر؟ من هم العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الجزائر خلال العهد العثماني؟.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي السردي، ومن أجل معالجة الإشكالية المطروحة قسمنا العمل إلى أربعة عناصر تبين الأسباب والأشكال التي أدت إلى وفود هؤلاء العلماء المغاربة إلى الجزائر وهي:

الرحلة العلمية الصرفة سواء لطلب العلم، أو نشره.

الرحلة الحجازية، أو ما يسمى "بركب الحج".

السفارات أو المهمات الدبلوماسية.

الأسباب السياسية، غيرها.

كانت كتب التراجم، والرحلات الحجازية هي الجزء الرئيسي والمهم في إنجاز هذا البحث، وخاصة كتب العلماء المغاربة، ككتاب نشر المثاني للقادري، والتقاط الدرر له أيضا، وكتاب الاستقصاء للناصري، وأيضا رحلة العياشي، وغيرها من كتب العلماء الجزائريين كرحلة ابن ميمون، ومنشور الهداية للفكون، وغيرها من المراجع المتخصصة التي اهتمت بهذا المجال ككتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله – رحمه الله- وغيرها.

2. العلماء المغاربة في الجزائر خلال العهد العثماني

اختلفت الأسباب التي دفعت العلماء المغاربة إلى التواجد أو الذهاب للجزائر خلال العهد العثماني وهي كالتالي:

1.2.الرحلة العلمية:

وهذه الرحلات كان الهدف منها طلب العلم والاستزادة منه، أو بثه ونشره، وهذا ما يؤكد وجود علماء جزائريين تضرب إليهم أكباد الإبل للأخذ عنهم وحياة ثقافية خلال هذا العهد عكس ما روج عنها، وشغف طلبة العلم والعلماء بالجزائر واستقبالهم للعلماء المغاربة للاستفادة منهم.

1.1.2. ابن زاكور الفاسي:

من أبرز العلماء المغاربة الذين دونوا رحلتهم إلى الجزائر لطلب العلم واستجازة العلماء الجزائريين العالم العلامة الأديب القوال الصالح الخير الجوال الناظم البارع المشهور أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي دارا ومنشأة قرارا ومتبؤا، أخذ بفاس عن أحمد بن الحاج، والعربي بن أحمد بن بردلة، والحافظ محمد بن أحمد القسمطيني، والحديث عن المهدي بن أحمد الفاسي، وبتطاون عن الحاج علي بركة، وبالجزائر عن عدة مشايخ، له تأليف لهذه الرحلة سماه "بنشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان". توفي صبيحة يوم الخميس عشرين من محرم سنة 1120هـ.(القادري، 1977، الصفحات 201-3/202)

لا يمكننا أن نطوي صفحا عن وصف ابن زاكور الماتع لمدينة الجزائر وعلمائها: " والذي أعارها- أي مدينة الجزائر- ذلك المراء الجميل، وأصارها فضية الصباح عسجدية الأصيل،...غرر أعلام ينجلي بهم الإظلام، وشموس أئمة تنفرج بهم كل غمة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من رجال كالجبال...فاهتديت بأنوارهم السنية، إلى قطف من أنوارهم الجنية، ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت..." (إبن زاكور، 2011، صفحة 40)

وابن زاكور في رحلته العلمية يذكر المشايخ والعلماء الجزائريين الذين أجازوه بالجزائر سنة

1094هـ/1682م، ونص إجازتهم التي من خلالها نقف على مدى تضلعهم في العلوم النقلية والعقلية منهم:

- أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمان المنجلاتي." (إبن زاكور، 2011، صفحة 41)

- أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري: " (إبن زاكور، 2011، صفحة 49)

- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري عرف بقدورة: "..." (إبن زاكور، 2011، صفحة 69)

- أبو عبد الله خليفة: الذي اخترمته المنية قبل أن يجيزه " (إبن زاكور، 2011، صفحة 71)

بل نجد في بعض الإجازات ذكر لعلماء مغاربة جاؤوا إلى الجزائر واستفاد منهم علمائها كالشيخ عبد الواحد الأنصاري الذي سنذكره فيما بعد، وفي هذه الرحلة العلمية العديد من الأخبار السياسية التي دونها ابن زاكور كهجوم الفرنسيين على مدينة الجزائر سنة 1682م بقيادة الأميرال دوكين (إبن زاكور، 2011، صفحة 74).

وقد أثر العلماء الجزائريين على ابن زاكور فنجده يتحسر على خروجه من الجزائر مفارقا لها في قوله: " فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار ، إلى أن أشعر كبدي بالانصداع، داعي الوداع، وأصابني من الوجد شبه الجنة عندما عزمت على الخروج من تلك الجنة" (إبن زاكور، 2011، صفحة 41).

1.2. 2. محمد بن عبد الله الورززي:

من العلماء المغاربة الذين وفدوا على الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي العالم الكبير محمد بن عبد الله الورززي المتوفى بمكة يوم الأحد أول يوم من جمادى الأولى عام ستة وسبعين ومائة وألف 1176هـ دفن قرب الإمام أبي جعفر الطبري في جهة أبي طالب في ناحية باب المعلى (القادري، 1977، صفحة 4/96).

ويذكره عبد الرزاق بن حمادوش في رحلته التي حققها الأستاذ أبو القاسم سعد الله، واستضافته له، وقيامه – الورززي- بتصحيح تأليفه – ابن حمادوش- الدرر على مختصر محمد السنوسي في المنطق عليه سنة 1159ه، بل يذكر أن الورززي قام بإدلاء بشهادة لابن حمادوش كالإجازة له انه قام بتصحيح هذا الشرح (بن حمادوش، 1983، صفحة 258) وتكليف الطلبة الشيخ الورززي بتقديم درسا لهم في كيفية ابتداء التفسير (بن حمادوش، 1983، صفحة 263).

1.2. 3. محمد بن عبد الرحمن الصيني التازي:

الشيخ محمد بن عبد الرحمن الصيني التازي من أبرز العلماء المغاربة الذين أخذوا عن مشايخ الجزائر، فقد حلاه الشيخ محمد بن عبد السلام بناني كما ذكر ذلك القادري في النشر: "سر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة المحدث الصوفي المفسر الفقيه " قال لقيته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل الكتب الستة وصدرا من الشمائل والشفا ومختصر ابن الحاجب وخليل، وأجازني – أي التازي- في جميع ماله من مروي ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيخه شيخ مشايخ الإسلام أبي

عثمان سعيد قدورة الجزائري، عن شيوخه المشارقة كالبابلي، وإبراهيم اللقاني، وعيسى الثعالبي، وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقري الجزائري...توفي رحمه الله سنة خمس عشرة ومائة وألف 1115هـ (القادري، 1977، صفحة 3/146).

1.2. 4. أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي:

من المغاربة الذين وفدوا على الجزائر الشيخ أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي الذي ترجم له الشيخ عبد الكريم الفكون في منشور الهداية: "وممن لقيناه وقرأنا عليه الشيخ الأستاذ النحرير النحوي آخر المتكلمين لسان حجة المسلمين، أبو عبد الله محمد بن مزيان التواتي لقبا، أصله من الغرب من قبيلة الرواشد، وانتقل إلى جبل زواوة..." (الفكون، 1987، صفحة 57) كان له بالنحو دراية ومعرفة، وكان يلقب بسيبويه زمنه (الفكون، 1987، صفحة 58).

من أشهر الوظائف التي تولاها الشيخ التواتي وظيفة التدريس بقسنطينة، واشتهر أمره، وانتشر علمه، وأقبل إليه الطلبة وانتفعوا به، ومن أبرز العلماء الجزائريين الذين أخذوا عنه الشيخ عيد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية (الفكون، 1987، صفحة 59)، وتوفي رحمه الله بوباء الطاعون سنة 1031هـ (سعد الله، 2017، صفحة 1/441).

1.2. 5. محمد السوسي ومحمد الفاسي:

ترجم الفكون لعالمين مغربيين وفدا على مدينة قسنطينة هما محمد السوسي، ومحمد الفاسي لكنهما ليسا على نمط الشيخ محمد التواتي المتقدم الذكر، فمحمد السوسي كان ممن انتسب إلى العلم لكنه مدعي له، وإنما كان من الذين يطلبون المناصب، ويتزلفون إلى الأمراء (الفكون، 1987، صفحة 72)، أما محمد الفاسي فقد وصفه الفكون بالقصور في العلم وخاصة علم الفرائض ومسائل الإسطرلاب الذي ادعى فيها النبوغ (الفكون، 1987، صفحة 61).

2.2.الرحلة الحجازية:

وهي تلك الرحلات التي قام بها المغاربة للحج مارين بالجزائر ، وليس لهم طريقا غيرها سواء برا أو بحرا، وقد أسهمت هذه الرحلات في وفود الكثير من العلماء على الجزائر وتسجيل مظاهر الحياة العلمية، والاجتماعية، والسياسية، والجغرافية، ولعلنا نقتصر على ذكر بعض الرحلات التي ذكر أصحابها لقاءهم العلماء الجزائريين، وتواصلهم العلمي والثقافي.

2.2. 1. العياشي:

تعتبر رحلة أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي المتوفى سنة 1690هـ/1679م (حج ثلاث مرات الأولى سنة 1059هـ، والثانية 1064هـ، والثالثة 1072هـ وعن الرحلة الثالثة ألّف رحلته (التازي، 2005، صفحة 1/200) المسماة "ماء الموائد" من أهم المصادر التاريخية في العهد العثماني التي تحدثت عن الجنوب الجزائري في القرن السابع عشر الميلادي سنة 1072هـ، سياسيا، واقتصاديا، وثقافيا (بلحميسي، 1981،

صفحة 24).

فقد تحدث العياشي وهو من جلة علماء المغرب الأقصى في رحلته عن لقائه ببعض علماء وطلبة العلم بالجنوب الجزائري وتذاكر معهم بشأن بعض المسائل العلمية، ويذكر العياشي لقاءه بأقورت بالفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر الأوكرتي (القادري، 1977، صفحة 2/370)، وسأله عن بعض المسائل الفقهية في الحبوس والبيوع (العياشي، 2011، صفحة 40)، ولقاؤه في تقرت بالشيخ محمد بن عبد الكريم التواتي (القادري، 1977، صفحة 2/370) ولد عالم توات في زمانه عبد الكريم المغيلي، وعقد بعض المجالس اللغوية والنحوية، والحديثية، وغيرها (العياشي، 2011، صفحة 1/75).

وفي طريق عودته يذكر لقاؤه بزريبة حامد بالشيخ عبد الله بن محمد بن المبارك ومعه جماعة من إخوانه وبني عمه من أهل خنقة سيدي ناجي وسألوه عن الفرار من الوباء (العياشي، 2011، صفحة 2/522)، وفي بسكرة التقى مع الشيخ محمد الصالح، والشيخ عبد الواحد الرماني الذي قرأ عليه أول صحيح البخاري من رواية أبي ذر، والشيخ صاحب الأحوال الصالحة محمد بن بوعلي (العياشي، 2011، صفحة 2/524).

2.2.2.محمد بن سليمان الروداني:

ومن الرحلات المشهورة في أواخر القرن السابع عشر رحلة محمد بن سليمان الروداني المغربي نزيل الحرمين الشريفين والمتوفى سنة 1094هـ الذي ارتحل إلى الجزائر فانتفع بالشيخ سعيد قدورة وغيره، ولقي بعض الصالحين، والتزمه (القادري، 1977، صفحة 2/315)، وتكتفي المصادر أنه أقام بالجزائر مدة دون تحديد لهذه الفترة والظاهر أنها لا تقل عن السنتين (المسلوتي، 2010).

3.2.2.عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي:

ومن العلماء المغربيين الذين مروا بالجزائر قاصدين الحج عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي الذي لقي بعض علمائها وتذاكر معهم في بعض المسائل العلمية مثل الشيخ خليفة بن حسن القماري الذي لقيه ببسكرة سنة 1193هـ، والذي اشتهر بنظمه لمختصر خليل فأطلعه عليه وأثنى بن شقرون على القماري (سعد الله، 2017، صفحة 1/442).

4.2.2.أبي عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي:

ومن الرحلات الحجازية في القرن الثامن عشر ميلادي، رحلة أبي عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي التي انطلقت من مدينة فاس في شهر رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف (1139ه/1727م)، سجل في رحلته طريقه إلى الحج مرورا بالجنوب الجزائري، لكن طريقه كان مخالفا لطريق أبي سالم العياشي.

فقد ذكر أنه التقى بالأغواط في طريق ذهابه ببعض الطلبة الذين جاؤوا لزيارته والاستفادة منه، وفيهم الفقيه أبو زيد عبد الرحمن الفجيجي، وولده الفقيه إسماعيل، وتدارس الشيخ الشرقي بعض المسائل العلمية، والحديثية (الشرقي، 2018، صفحة 1/181)، أما في مدينة بسكرة فقد التقى بالفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرماني، أحد أحفاد الفقيه عبد الواحد الرماني الذي لقيه العياشي في رحلته، وبجماعة

من الطلبة والمتصوفة منهم الشيخ عبد الحفيظ بن الطيب من أولاد سيدي ناجي – وهو من لقيه الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي وأذن له في تلقين الورد (الشرقي، 2018، صفحة 1/192)، و في طريق عودته التقى الشيخ الشرقي في الأغواط بالشيخ عبد الرحمن وولده إسماعيل، وبالفقيه أبو العباس أحمد بن أبي زيان الأغواطي (الشرقي، 2018، صفحة 2/522).

3.2.السفارات (الرحلة الديبلوماسية):

1.3.2. التمقروتي:

تعد سفارة أبو الحسن محمد بن علي التمقروتي، من أوائل المهمات الدبلوماسية التي بعث بها المغرب، والتي مرت بالجزائر خلال العهد العثماني، وانطلقت هذه الرحلة سنة 1589م من مدينة مراكش بأمر من السلطان السعدي احمد المنصور، إلى إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية، والتي كانت العلاقة بينهما يشوبها التوتر في الغالب، وخوفا من أن يشن أتراك الجزائر غارة على المغرب بعث أحمد المنصور هذه السفارة، والتي مرت بالمدن الجزائرية الساحلية، وقد سجل التمقروتي رحلته في كتاب سماه " النفحة المسكية في السفارة التركية " (بلحميسي، 1981، صفحة 16)، والتمقروتي وإن لم يقم طويلا في الجزائر في سفارته إلى اسطنبول، ومع ذلك فقد وصف أحوال الجزائر ومدنها ولقي بعض علمائها (سعد الله، 2017، صفحة 1/440).

ضمت السفارة التي بعث بها سلطان المغرب إسماعيل للمهادنة مع الجزائر بعد هزيمة جيشه في معركة المشارع عند واد ملوية سنة 1103هـ والتي قادها ابنه الأمير عبد المالك بن إسماعيل عالمين جليلين من علماء المغرب، الأول هو الوزير والكاتب المؤرخ الشهير أبو عبد الله محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الغساني (القادري، التقاط الدرر...، 1983، صفحة 267) صاحب كتاب "رحلة الوزير في افتكاك الأسير" التي قادته إلى اسبانيا من الأوائل في نهاية القرن السابع عشر.والثاني هو محمد الطيب الفاسي (القادري، التقاط الدرر...، 1983، صفحة 283) الإمام العلامة الدراكة، المحقق المتقن أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد القادر الفاسي...له الباع في الفقه والحديث المتوفى في 19 ربيع الثاني سنة 1113ه (القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، 1977، صفحة 3/131).

2.3.2. عبد الواحد بن محمد أبو عنان:

ومن العلماء المغاربة الذين كانت لهم سفارة إلى الجزائر خلال العهد العثماني الشيخ العالم عبد الواحد بن محمد أبو عنان، بعثه سلطان المغرب المولى إسماعيل إلى الجزائر رسولا إلى الداي، ولقي بها جماعة من العلماء والمشايخ، توفي ثامن عشر صفر عام ستة ومائة وألف 1106ه (القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، 1977، صفحة 3/66).

ويذكر أن أحمد الغزال صاحب كتاب "نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد" كانت له سفارة إلى الجزائر موفدا من طرف سلطان المغرب عبد الله من أجل تبادل الأسرى الجزائريين والإسبانيين عقب

رحلته التي قادته إلى إسبانيا لتحرير الأسرى المغاربة والمسلمين عامة، وكان ذلك سنة 1182هـ، أنه كان تلميذا لأحمد بن عمار الجزائري (سعد الله، 2017، صفحة 2/35)، وحضر درسا في الحديث له في الجامع الكبير، وأعجب بعلمه فمدحه بقصيدة:

روينا الأحاديث الألى ورثوا العلا * قديمـا ففازوا بالثنـاء المـؤبد

هلموا إلى مأوى المفاخر والعلا * هلموا إلى الأسمى ابن عمار احمد

بوالده دينا وعلما قد اقتدى * لقد جل نجل كان بالأب يقتدى (سعد الله، 2017، صفحة 2/273)

4.2.الأسباب السياسية:

1.4.2. علي عبد الواحد الأنصاري:

علي عبد الواحد الأنصاري السجلماسي من العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الجزائر خلال الأربعينات من القرن الحادي عشر (17م) (سعد الله، 2017، صفحة 1/370)، ولا ندري ما هي الظروف السياسية التي جعلت علي الأنصاري يفضل الجزائر على المغرب الأقصى (سعد الله، 2017، صفحة 1/371)، إلا انه من العلماء الذين حفلت مدينة الجزائر بدروسه بجانب الشيخ سعيد قدورة.

ومن العلماء الذين أخذوا عن علي الأنصاري، عمر المنجلاتي الذي لازمه مدة أربعة عشر سنة ليلا ونهارا (إبن زاكور، 2011، صفحة 46)، وممن اخذ عنه يحي الشاوي (المحبي، د.س، صفحة 4/486)، ومحمد بن القوجلي، والشاعر محمد بن علي بن المهدي جد المفتي ابن علي (سعد الله، 2017، صفحة 1/373)، وكان علي الأنصاري على صلة وثيقة بيوسف باشا (سعد الله، 2017، صفحة 1/374)، وترك العديد من المؤلفات ذكرها المحبي في خلاصة الأثر (المحبي، د.س، صفحة 4/488).

2.4.2. أبو عبد الله محمد بن الحاج الدلائي:

هو من العلماء الذين لجؤوا إلى تلمسان بعدما فرق السلطان الرشيد بن الشريف جمع الزاوية الدلائية سنة 1082ه، يقول الناصري: "لما وقعت الهزيمة على أهل الدلاء دخل المولى الرشيد إلى الزاوية وأمر بمحمد الحاج وأولاده وأقاربه أن يحملوا إلى فاس ويسكنوا بها فحملوا إليها واستوطنوها مدة، ثم أمر أن يذهب بهم إلى تلمسان ففروا إليها وسكنوها مدة، وحدثوا أن محمدا الحاج رحمه الله لما دخل تلمسان قال كنت وجدت في بعض كتب الحدثان أني ادخل تلمسان فظننت أني أدخلها دخول الملوك فدخلتها كما ترون ولم يزل بها إلى أن توفي سنة 1082ه، ودفن عند ضريح الإمام السنوسي (الناصري، 2015، صفحة 3/26).

3.4.2. الجامعي:

من أبرز العلماء المغاربة الذين اضطرتهم الظروف القاهرة إلى مغادرة المغرب الأقصى والتوجه إلى الجزائر الشيخ الأديب المؤرخ أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي (خوجة، 1908، صفحة 165) المولود سنة 1087ه بفاس (محفوظ، 1994، صفحة 10)، فحياته بالمغرب الأقصى لا تكاد تذكر، أو يعرف عنها الشيء الكثير لعدم توفر معلومات عنه بها، وحتى الذين اعتنوا بالتراجم، والمؤرخين لم يترجموا للجامعي،

ولو ذكرا بسيطا كصاحب ذيل البشائر.

أما عن أسباب انتقاله من المغرب الأقصى إلى الجزائر فلم يذكر الجامعي في مؤلفاته أسباب انتقاله من المغرب الأقصى الذي كان حافلا بمجالس العلم وجامعاته، وعلمائه إلى الجزائر غير أنه ذكر بعض الإشارات التي إستادها من كتابات الجامعي منها قوله في مكتوب خاطب به الداي الجزائري محمد بكداش: "وجدير بمن شحذت سبيكته الذهبية المحن الزمانية فخلصت من الشوب، وأذابت كورته التركيبية فأبرزت نصارها من لباب الذوب، أن يستعمل تدبيره في إنقاذ عبد مازال فرار من نار المحن وهي تحله وتعقده، ومطارق النكبات تنتظر قبضه وترصده..." (المنوني، 1975، الصفحات 167-186).

وكذلك ذكر بعض كروبه في شرح الأرجوزة بقوله: " وأي كمال لعبد فقير حقير، ألفت مخالفته الخطوب، ولازمت صحبته الكروب، نسأل الله تعالى تفريجها عن قريب، إنه سميع مجيب" (الجامعي، صفحة 75)، ولا يعلم للجامعي تاريخ محدد لوفوده إلى القطر الجزائري، غير أن إقامته بمدينة تلمسان كانت إبان فتح وهران الأول 1119ه/1707-1708م.وأشتغل بتدريس علمي النحو والبيان بمدينة تلمسان كما يؤكد على ذلك في شرحه (الجامعي، صفحة 63).

التقى عبد الرحمن الجامعي بتلمسان وقلعة بني راشد، والجزائر، وبونة بعدد من العلماء والأدباء أمثال:

الشيخ محمد بن أحمد الحلفاوي صاحب الأرجوزة في فتح مدينة وهران الأول، والذي طلب من الجامعي أن يقوم بشرحها، وسجل بهذا الشرح مظاهر كثيرة من حياة الجزائر العلمية والاجتماعية والسياسية (سعد الله، 2017، صفحة 1/443)، والأديب الحسيب الكاتب محمد بن جابو التلمساني، ومصطفى القلعي الرماصى حامل لواء الفقه المالكي في عصره ببني راشد.

والتقى الجامعي بمدينة الجزائر بمحمد بن ميمون الجزائري صاحب التحفة المرضية، وحلاه بعبارات الثناء والمدح، ومن جانبه يحلي ابن ميمون عبد الرحمن الجامعي في التحفة بقوله: "...الكاتب اللوذعي، العلم الألمعي، أبو زيد الجامعي نسبا، الفاسي منشئا، الجزائري دارا، وهو رجل وحيد الدهر بل فريد العصر، لا أعلم أني لقيت مثله في طريق الآداب،..." (الجزائري، 2018، صفحة 178).

التقى كذلك بأحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار ، أبو العباس، من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية، صاحب "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" (النويهض، 2017، صفحة 129)، وكانت بينهما مودة ورفقة، وقد ذكره ابن عمار في رحلته، وأثنى عليه في سياق الحديث على ابن علي الآتي ذكره وقد ذكر له قصيدة:

أخمائل الأزهار هبت في سحر * أم نفثة من شادن عقلي سحر (عمار، 1903، صفحة 84)

والتقى بها – مدينة الجزائر – بأديب العلماء وعالم الأدباء الشاعر المفتي أبو عبد الله محمد بن علي الذي كان في مساجلات مع ابن عمار، وقد ذكره الكاتب أبو زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي في رحلته فقال عند ذكر الجزائر.." (عمار، 1903، صفحة 81).

عند انتقاله إلى مدينة بونة كان له لقاء مع الشيخ أبو القاسم البوني المعروف بابن ساسي، وحضور مجالس علمه، وأجازة البوني له شرح نظم عقيدة السنوسي السادسة لمحمد بن احمد بن قاسم البوني (الحفناوي، 2012، صفحة 2/511)، ويعتبر الجامعي من العلماء القلائل الذين ألفوا في فتح وهران الأول سنة 1119/1708ه، وإن لم يكن له سوى هذا العمل فكفى بها ميزة.

4.4.2. علي الزياني:

ومن العلماء الذين دفعتهم الظروف السياسية إلى اللجوء إلى الجزائر أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن علي الزياني، ولد بفاس سنة 1147هـ/1734م، والذي خدم لفترة طويلة (1169–1224هـ/1785–1794م) سلاطين المغرب، المولى محمد بن عبد الله، واليزيد بن محمد، وسليمان بن محمد، وتولى عدة وظائف ومهام وسفارات.

تعرض الزياني لعدة مضايقات منها العزل والسجن والمصادرة في عهد المولى اليزيد الذي صادر أملاكه وأودعه السجن بالرباط، وعزل ثانية في عهد المولى سليمان، وقد وجد الفرصة سانحة لتجنب المضايقات التي كان يتعرض لها عندما فشل في إخماد فتنة انقاد ستة 1206هـ/1792م وكان آنذاك واليا على وجدة، فالتجأ إلى تلمسان بنية الإقامة بها نهائيا خوفا من غضب المولى سليمان بعد ان ذهبت محلته، لكنه إضطر لأسباب عائلية العودة إلى فاس وتوفي بها سنة 1249هـ/1833م (سعيدوني، 1999، صفحة 476).

لما انتقل الزياني الى مدينة تلمسان التقى بعلمائها ومشايخها، وألقى بعض الدروس بها، إلا أنه نقل لنا الحالة العلمية المتدهورة لتلمسان بقوله: " ولما انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار ابي مدين بالعباد، واخترت العزلة عن العباد، إنهال علي طلبة البلاد من ذلك المصر، وفقهاء ذلك العصر بسبب هذه الأبيات لما شاعت بين الناس. وقصدونا للأنس والمذاكرة ، والمسامرة والمحاضرة، وأتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار، وتواريخ من كان ببلدهم من الأحبار...فأتحفني الفقيه الأديب، السميع الأريب، خطيب مسجد أبي مدين بالعباد بتاريخ البلاذري...فقيدت منها كل غريب، زيادة على ما في الجريب، وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا، ولا لغة ولا عربية لإصلاح اللسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهية، والأحاديث النبوية، وأقمت بها سنة ونصفها فشربت من زلالها، واستنشقت عرفها (الزياني، **1991**، صفحة **144**)، وقد التقى في مدينة الجزائر بالقاضي الفقيه السيد محمد بن مالك (الزياني، **1991**، صفحة **155**).

واجتمع بمدينة قسنطينة بإمام المسجد العتيق وخطيبه الولي الصالح أبي البركات سيدي مبارك ابن الفقيه العلامة سيدي عمر الصائغي، والفقيه العلامة الصوفي أبي الحسن علي بن مسعود الونيسي، وبالفقيه القاضي أبو عبد الله سيدي الحفصي العلمي، وبالمفتي الفقيه العلامة سيدي أحمد بن المبارك العلمي، والفقيه الأديب الكاتب، محمد المجاري الخوجة، والفقيه الأديب ونيس البوزنياري، والكاتب الأديب محمد بن كشك علي كرغلي (الزياني، 1991، صفحة 153)، وأقام بمدينة قسنطينة خمسة عشر يوما (الزياني، 1991، صفحة 154).

3. الخاتمة

من خلال ما سبق التعرض إليه نستنتج أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت قبلة للعديد من العلماء من مختلف المناطق، وخاصة من المغرب الأقصى، وهو العهد الذي قيل عنه في العديد من الكتابات أنه شهد ركودا علميا وتراجعت فيه الحياة الثقافية، بسبب إهمال الحكام لهذا الجانب واهتمامهم بالجوانب العسكرية والسياسية، وبالتالي نلاحظ وجود تناقض تام بين الكتابات والواقع، فكيف تستقطب منطقة متراجعة ومتدهورة ثقافيا هذا الزخم الهائل من العلماء، خاصة من المغرب الأقصى الذي كان مركزا ثقافيا عظيما بحواضره الكبرى العلمية كمدينة فاس وغيرها.

- التوافق والتواصل العلمي والثقافي بين نخبة العلماء المغاربة والجزائريين وهدفهم من ذلك خدمة العلم والاستزادة في بحوره.

-سجل هؤلاء العلماء المغاربة في كتاباتهم، بل وكتابات إخوانهم الجزائريين صفحات مشرقة للحياة العلمية بالجزائر خلال هذا العهد.

- اختلاف أغراض وأسباب وأشكال الرحلات العلمية من المغرب الأقصى إلى الجزائر فنجد من العلماء من وفد إلى الجزائر رغبة في طلب العلم والاستزادة منه كابن زاكور،الذي سجل ذلك في كتابه نشر أزاهر البستان، وأفادنا بمعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمدينة الجزائر، وحتى أنه تكلم عن الحملة الفرنسية على المدينة.

-بعضهم وفد إلى الجزائر لنشر العلم كالورززي الذي زار تلميذه ابن ميمون، وأجاز مؤلفه المختصر، و عقد مجالس علمية بالمسجد الكبير بمدينة الجزائر.

- والبعض الآخر تدارس مع طلبة العلم الجزائريين وفقهائها المسائل العلمية، وأفادهم وهذا ما نجده في الرحلات الحجازية، وخاصة رحلة العياشي، والطيب الشرقي، واللتان عرفتنا ببعض علماء الجزائر، بل لم نجد لهم ترجمة في غيرهما من الكتب.

- ومنهم من جاء لغرض آخر إلا أن علاقته بالعلم أرغمته على مقابلة العلماء كأحمد الغزال،الذي جاء في مهمة دبلوماسية لتبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا تحت رعاية ملك المغرب الأقصى.

-وهناك علماء آخرين أرغمتهم الظروف السياسية للجوء إلى الجزائر وكانت له فيها حظوة كبيرة مثل الزياني، والجامعي وغيره.

- كل هذه الأسباب، والعوامل وطدت حبل التواصل العلمي بين المغاربة والجزائريين وأثرت المكتبة التاريخية، والعلمية بالعديد من المؤلفات التي سجلت مظاهر الحياة في الجزائر في كل مجالاتها، والتي تساهم بشكل كبير في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني خاصة الجانب الثقافي برؤية جديدة، وهي رؤية الآخر، وتفتح المجال لطلبة العلم والباحثين في تحيين مواقفهم أو إثباتها أو تفنيدها، من خلال الاستشهاد بكتابات الرحالة الذين عاينوا الوضع عن كثب، ودونوا ملاحظاتهم في كتاباتهم.

4. قائمة المراجع:

01- التازي عبد الهادي.(2005).*رحلة الرحلات مكة المكرمة في مائة رحلة مغربية ورحلة*.الرياض، السعودية: مؤسسة

الفرقان للتراث الإسلامي.
02- الجامعي عبد الرحمن.(n.d.).*شرح أرجوزة الحلفاوي مخطوط أرجوزة الجامعي، مخطوط، رقم 8671*.دار الكتب التونسية.
03- الجزائري محمد بن ميمون.(2018).*التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحيق: محمد بن عبد الكريم*.الجزائر: دار الوعي ، ط1.
04- الحفناوي أبو القاسم.(2012).*تعريف الخلف برجال السلف*.الجزائر: دار كردادة، ط 1.
05- الزياني أبو القاسم.(1991).*الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي*.الرباط، المغرب: دار نشر المعرفة.
06- الشرقي عبد الله محمد بن الطيب.(2018).*الرحلة الحجازية ، تحقيق: نور الدين شوبد -حسناء بوتوادي*.الرباط ، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1.
07- العياشي أبو سالم.(2011).*الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى ماء الموائد ، تحقيق أحمد فريد المزيدي*.بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1.
08- الفكون عبد الكريم.(1987).*منشور الهداية في كشف من إدعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، ط1*.بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
09- القادري محمد بن الطيب.(1983).*التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر ، تحقيق: هشام العلوي القاسمي*.بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة، ط1.
10- اسعد الله أبو القاسم.(2017).*تاريخ الجزائر الثقافي*.الجزائر: عالم المعرفة.
11- المحبي.(د.س).*خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*.د.د.ن.
12- المسلوتي مصطفى بن عمر.(2010).*محمد بن سليمان الروداتي حكيم الإسلام ومفخرة المغرب*.الرباط، المغرب: مركز الدراسات وإحياء التراث ، ط 1.
13- المنوني محمد.(1975)مارس -أفريل 24.عبد الرحمن الجامعي الفاسي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير.*مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية*.186-167
14- الناصري أحمد بن خالد.(2015). *الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: محمد عثمان*.بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط3.
15- النويهض عادل.(2017).*معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر*.الجزائر: دار الوعي.
16- بلحميسي مولاي.(1981). *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
17- خوجة حسين.(1908).*ذيل بشائر الإيمان في فتوحات آل عثمان*.تونس: المطبعة الرسمية العربية.
18- بن زاكور محمد بنقاسم.(2011).*رحلة بن زاكور المسماة: نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان*.الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع.
19- سعيدوني ناصر الدين.(1999).*من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي*.بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط1.
20- عبد الرزاق إبن حمادوش.(1983).*رحلة إبن حمادوش، تحقيق: أبو القاسم سعد الله*.الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
21- بن عمار أحمد.(1903).*نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب*.الجزائر: مطبعة فونتانا.
22- محفوظ محمد.(1994).*تراجم المؤلفين التونسيين*.بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط 2..
23- محمد بن الطيب القادري.(1977).*نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*.الرباط، المغرب: مكتبة الطالب.